﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: 54]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مَن نسيَ الكتابَ المسطورَ، عليه أن لا ينسى الكتابَ المنشورَ، وبينَ البَدْءِ والمَعادِ يكونُ عملُ العِباد

لمّا بيَّن ﷻ في الآيةِ السّابقة خسارةَ النّاسين كتابَ الله يومَ القيامةِ، ناسَبَ ذِكرُ بَدْءِ الخَلْقِ بعد ذِكرِ المَعادِ؛ تذكيرًا للعبادِ، فمَن نَسيَ الكتابَ المسطورَ، عليه أن لا ينسى الكتابَ المنشورَ، فهو انتقالٌ مِنَ الحديثِ عنِ المعادِ إلى التَّذكيرِ بأصلِ الخَلْقِ؛ لبيانِ العلاقةِ بينَ البداية والنِّهاية؛ فمَنِ اعترفَ بالبدايةِ للخالقِ سبحانه، عليه أن يُؤمِنَ بالنِّهاية للّه وحدَه، فللّه الخَلْقُ والأمرُ أوَّلًا وآخِرًا، وما بينَ البَدْءِ والمَعادِ يكونُ عملُ العبادِ، فهو استشهادٌ بالحقيقةِ الملموسةِ المتَّفقِ عليها؛ للوصولِ إلى الهدايةِ في العقيدةِ والتَّشريعِ.

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: مِنَ الجذرِ اللُّغويِّ (سوي)؛ وهو "أصلٌ يدلُّ على استقامةٍ واعتدالٍ بين شيئين"[1]، سواء كان ذلك باعتبارِ إسنادِه إلى شيئين فأكثر، أو باعتبارِ اعتدالِ الشَّيءِ في ذاته[2]، واستوى الشَّيء: اعتدل، والاسم السَّواء، والاستواء في كلام العرب يُطلَق على معانٍ؛ أحدها: أن يستويَ الرَّجل فيبلغَ أشُدَّه، وينتهي شبابُه وقوَّته، والثّاني: أن يستويَ الأمر عنِ اعوجاج، والثّالث: أن يُقْبِل على أمر ما، واستوى إليَّ: أقبل إليَّ، وقد فسَّر ثعلبُ قولَه تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سوي).
(2) السّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 2/241.

[البقرة: 29] فقال: أقبل إليها، وقال أحمد بن يحيى: الاستواء: الإقبال على الشَّيء، ولـمّا سُئِل الإمام مالك بن أنس: كيف استوى؟ فقال: الكيف غيرُ معقول، والاستواء غيرُ مجهول، والإيمان به واجب، والسُّؤال عنه بدعة[1]. فالاستواءُ على العرشِ: صفةٌ للّه تعالى بلا كيفٍ، على الوجهِ الَّذي عناه، مُنزَّهًا عنِ الاستقرارِ، والتَّمكُّنِ، ومشابهةِ الحوادثِ[2].

2) ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾: مِنَ الجذر اللُّغويِّ (عرش)، وهو أصلٌ يدلُّ على ارتفاعٍ في شيءٍ مبنيٍّ، ثمَّ يُستَعار في غير ذلك[3]، ويُجمَع على عُروش، والعَرْش في كلام العرب: سرير المَلِك؛ لأنَّه يُصْنَع مُنبسطًا مُرتفعًا عنِ الأرض[4]، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف: 100]، وهو الشَّيءُ المسقَّفُ[5]، وكلُّ بناء يُستَظلُّ به فهو عرش، وقد كُنّيَ به عنِ العِزِّ والسُّلطان والمملكة، يقال: ثُلَّ عَرْشُه، أي: زال مُلكُه وعِزُّهُ، وعَرْشُ الرَّجلِ: قَوام أمرِه[6]، وعَرْشُ اللّه: ما لا يعلمُه البَشر على الحقيقة إلّا بالاسم، وليس كما تذهبُ إليه أوهامُ العامَّة[7]، وقيل: بأنَّه الجسمُ المحيطُ بسائرِ الأجسامِ، سُمّي به لارتفاعه، أو للتَّشبيه بسريرِ المَلِكِ، فإنَّ الأمورَ والتَّدابيرَ تَنزِلُ منه[8].

3) ﴿يُغۡشِي﴾: مِنَ الجذر اللُّغويِّ (غشى)، وهو أصل صحيح يدلُّ على تغطية شَيء بشيء، يقال: غَشَّيتُ الشَّيءَ أُغَشّيه، والغِشاء والغَشاوَة: الغِطاء، وغَشيَ الشَّيءُ الشَّيءَ: إذا كان أحدُهما غطاءً للآخر، وغشاء كلِّ شيء: ما تغشّاه؛ كغشاء القَلْبِ والرَّحْل والسَّرْج والسَّيف ونحوها، والمعنى المحوري: تغطيةُ الشَّيء بكثيف يُعَمِّهُ. والمرادُ هنا: أنَّ اللّه تعالى يمحو ضياءَ النَّهارِ بظُلمةِ اللّيلِ، ويمحو ظُلمةَ اللَّيلِ بضوءِ النَّهارِ، فكُلٌّ منهما غِطاءٌ للآخَر[9].

---

(1) ابن منظور، لسان العرب: (سوا).
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/232.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عرش).
(4) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عرش).
(5) الرّاغب، المفردات: (عرش).
(6) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة: (عرش).
(7) الرّاغب، مفردات القرآن: (عرش).
(8) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/232.
(9) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، مفردات القرآن: (غشي)، وابن منظور، لسان العرب: (غشا)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (غشو - غشى).

4) ﴿حَثِيثًا﴾: مِنَ الجذر اللُّغويِّ (حثث)، ويَدلُّ في أحد أصلَيه على الحَضِّ على الشَّيء، ومنه: حَثَثْتُه على الشَّيء أحُثُّه، ومنه: الحثيث؛ يقال: ولَّى حثيثًا، أي: مسرعًا حريصًا، ورجلٌ حثيثٌ ومحثوثٌ: جادٌّ سريع، والحَثُّ: السُّرعة، والإعجالُ في اتِّصال، وقيل: هو الاستعجالُ ما كان. والمرادُ بـ ﴿حَثِيثًا﴾ في الآية: سريعًا، إسراعَ مَن يَدفعُه غيرُه، ويَحثُّه على الموالاة في الحركة[1].

5) ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾: مِنَ الجذر (سخر)، وهو أصل مُطَّرِد مستقيم يَدلُّ على احتقارٍ واستذلالٍ، والمعنى المحوري: انقيادٌ بيُسر مع عدم مقاومة، ويَلزَم ذلك الخِفَّة، كما تجري السَّفينةُ وتتحرَّكُ بيُسر، لقوَّتها وضَعْف مقاومةِ الماء في الظَّرف الموصوف، وسَخَّر اللَّهُ ﷻ الشَّيءَ؛ وذلك إذا ذَلَّلَهُ لأمره وإرادته، وأصلُ "التَّسخير: سياقةٌ إلى الغَرض المُختصِّ قَهْرًا"[2]، وهو التَّذْليل، وسُفنٌ سَواخِرُ مَواخِر، فالسَّواخِرُ: المُطيعة الطَّيبة الرّيح، والمواخِر: التي تَمخُر الماءَ وتَشُقُّه[3]. والمرادُ بـ ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾ في الآية: مذلَّلات في مَداراتها، لا تخرج عن النِّظام، ولا تَتَمرَّد.

6) ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: مِنَ الجذر (أمر)، وهو خمسة أصول: الأمْرُ مِنَ الأُمور، وضِدُّ النَّهي، والنَّماء والبَركَة بفتح الميم، والمَعْلَم، والعَجَبُ، والمعنى المِحْوريُّ: نفاذٌ مع عُلوٍّ، وراءَه جمعٌ بشدَّة. وأصل الأمر: الشَّأن، وجمعه أُمور، ومصدر أمَرْتُه: إذا كلَّفْتُه أن يفعل شيئًا، وهو لفظٌ عامٌّ للأفعال والأقوال كلِّها[4]، والمرادُ به هنا: التَّدبير، والتَّصرّف في مخلوقاته كما يشاء[5].

7) ﴿تَبَارَكَ﴾: مِنَ الجذر (برك)، وهو أصل واحد، يدلُّ على ثبات الشَّيء، ثمَّ يتفرَّع فروعًا يقارب بعضُها بعضًا، والمعنى المحوري هو: ثباتٌ واستمرارٌ مع لطفٍ، و(تبارك): فِعلٌ ماضٍ لا يتصرَّف، أصله: مِنَ البَرْك؛ وهو صَدْر البعير إذا أناخَ في مَوضِعٍ فلَزِمَهُ وثَبَتَ فيه، واعتُبِر

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، مفردات القرآن، وابن منظور، لسان العرب: (حث، حثث)، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: 1/373.

(2) الرّاغب، المفردات: (سخر).

(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والجوهري، الصّحاح، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (سخر).

(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (أمر).

(5) الميسّر في الغريب، مركز الدّراسات القرآنيّة بمجمع الملك فهد: 157.

منه معنى اللُّزوم، فاشتُقَّ منه: البرَكَة، وهي بمعنى: الثُّبوت والكَثْرة، أو النَّماء والزّيادة، في الشَّيء والحال، بحيث يبقى وتَدوم منفعتُه أطولَ مُدَّة، فلا ينفَدُ سريعًا، وغلَب إطلاقُها على ثُبوتِ الخيرِ الإلهيِّ في الشَّيء، وقيل: لكلِّ ما يُشاهَد منه زيادَةٌ غيرُ محسوسة: هو مُبارَكٌ، وفيه بركة، والمرادُ بـ ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾: ثَبَتَ وكثُرَ خيرُه على خَلْقِه[1].

## ❁ المعنى الإجْماليُّ:

آيات الكون العظام محكومةٌ ومقهورةٌ بأمر الله وتقديره، فلَهُ الخَلْق مُلكًا وتدبيرًا، وله الأمر تكليفًا وتيسيرًا

إنَّ اللَّه ﷻ هو ربُّ العالمين، الَّذي خلقَ السَّماواتِ والأرضَ في ستَّة أيّام، ثمَّ استوى على عَرْشه استواءً يليق به سبحانه، فتمَّ بذلك حُكمُهُ وتدبيرُه، وقَهْرُه للمخلوقات جميعًا، ففي العالَم العلويِّ اللَّيلُ يسترُ النَّهارَ بظُلْمته، والنَّهارُ يمحو الظُّلمةَ بضيائه، وكلٌّ منهما في طَلَبٍ مُتوالٍ ومتواترٍ للآخَر، والشَّمسُ والقَمرُ كذلك، والنُّجومُ مُذلَّلاتٌ ومُسَخَّراتٌ في أفلاكها، سابحةٌ في مداراتها، لا تخرجُ عن نظامها طرفةَ عينٍ؛ لأنَّها محكومةٌ، ومقهورةٌ بأمر اللَّه، وقانونِه، وإرادتِه، وفي العالَم الأدنى له الخَلْقُ مُلْكًا وتدبيرًا، وله الأمْرُ تكليفًا وتيسيرًا، مع ما له تعالى مِن واسعِ الخيرِ، ووافرِ الإنعامِ على خَلْقِه كافَّةً، فتباركَ اللَّهُ ربُّ العالَمين.

## ❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

### نُكتة التَّأكيدِ بالحرف ﴿إِنَّ﴾:

تأكيدُ انفرادِ الله بالألوهيَّة، والاهتمام بالخبر؛ لزيادةِ إيمان المؤمنين

ابتُدِئَ بحرفِ ﴿إِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لتأكيدِ مضمونِ الكلامِ، وللاهتمام بالخبر، أمّا التأكيدُ - وإن كان المشركون يثبتون الرُّبوبيَّة للّه، والمسلمون لا يَمْتَرون في ذلك - فهو لِتَنْزيل المشركين مِنَ المُخاطَبين منزلةَ مَن يتردَّد في كونِ اللّه ربًّا لهم؛ لكثْرةِ إعراضِهم عنه في عباداتهم وتوجُّهاتهم[2].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (برك)، طنطاويُّ، الوسيط: 5/286.

(2) ابن عاشور: التّحرير والتّنوير: 8/161.

فهو جارٍ في تقرير ما نفاه المشركون مِن انفرادِ اللّهِ بالرُّبوبيَّة والأُلوهيَّة، وأمّا الاهتمامُ بمضمونِ الخبرِ: فهو يزيدُ المسلمين بصيرةً بعِظَمِ مَجدِ اللّهِ وسَعةِ ملكِه، ويزيدُهم ذِكْرى بدلائلِ قدرتِه[1].

### فائدةُ إضافةِ لفظِ الرُّبوبيَّة إلى ضميرِ المُخاطَبين:

الخطابُ يشملُ جميعَ النَّاسِ؛ المؤمنينَ والمشركينَ

أُضيفَ لفظُ الرُّبوبيَّة إلى ضميرِ الخطابِ في قوله: ﴿رَبَّكُمُ﴾ للشُّمولِ، فهو يصلحُ في إرادة الفريقين معًا، فهو خطابٌ للمشركين ابتداءً، وللمؤمنين؛ لعموم مُتعلَّق الضَّمير، وبدليل اللِّحاق، فقد أُريد المؤمنون أصالةً بقوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف: 55]، وقوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: 56]، فهو بهم أليقُ، وأُريدَ المنكرون أصالةً في المثالِ المختومِ بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأعراف: 57]، وهم داخلون كذلك في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، فهذا بهم أليق[2].

### سرُّ تقديمِ المسنَدِ إليه ﴿رَبَّكُمُ﴾، على المسنَدِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

إذا اجتمعَتْ معرفتان قُدِّم في الذِّكر الأعرفُ لدى المُخاطَب

لسائلٍ أن يسألَ عن سرِّ تقديم ﴿رَبَّكُمُ﴾ على لفظ الجلالة، فلم يقُل: (إنَّ اللّه ربُّكم)؟ والجوابُ: إنَّ الرَّبَّ المعلومَ للمُخاطَبين، هو ما دلَّ اسمُه على ذاته: اللّهُ، لا غيرُه ممَّن ليس له هذا الاسمُ، على ما هو الشَّأن، فهو تعريفُ المسنَدِ، في نحو: أنا أخوكَ، يقُال لمَن يعرف المتكلِّمَ، ويَعرفُ أنَّ له أخًا، ولا يعرفُ أنَّ المتكلِّم هو أخوه. فالمقصودُ مِن تعريفِ المسنَدِ: إفادةُ ما يُسمَّى في المنطق بحَمْلِ المواطأة، وهو حملُ (هو هو)، ولذلك يُخيَّر المتكلِّم في جَعْلِ أحد الجزأين مُسنَدًا إليه، وجعلِ الآخَر مُسنَدًا؛ لأنَّ كليهما معروفٌ عند المُخاطَب، وإنَّما الشَّأنُ أن يجعلَ أقواهما معرفةً عند المُخاطَب هو المُسنَدَ إليه؛ ليكونَ الحَمْلُ أجدى إفادةً[3].

(1) ابن عاشور: التّحرير والتّنوير: 8/159.
(2) ابن عاشور: التّحرير والتّنوير: 8/159.
(3) ابن عاشور: التّحرير والتّنوير: 8/160.

### مناسبةُ ذكرِ الخَلْقِ للرُّبوبيَّة، والأمر للألوهيَّة:

اعتبارُ المناسبة في الخَلْقِ والأمرِ

الآية اشتملَتْ على ذِكْرِ الخلقِ الَّذي ناسب ذِكْر الرُّبوبيَّة، وهم به مُعْترفون، واشتملَت على ذِكْر الأمر والتَّسخير، الَّذي هو استعارةٌ في التَّكليفِ والتَّشريعِ، فناسبَ ذِكْرَ الألوهيَّة.

ومن فوائد الإخبارِ عنِ الرُّبوبيَّة بلفظ الجلالةِ: قطعُ الشِّرك، ودَحْضُ ادِّعاء مَن يُفرِّق بينهما، فينسب لغير اللّٰه منهما شيئًا، ويُخلّي عنِ اللّٰه ما هو مُنفردٌ به، وخالصٌ له.

### غرضُ وصفِ المسنَدِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

الوصفُ بالمخصوصِ المتَّفقِ عليه أقوى في إقامةِ الحُجَّة

وُصِفَ لفظُ الجلالة: ﴿ٱللَّهُ﴾ بقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ للتَّخصيص، والنَّصِّ، والتَّعيين؛ إكبارًا للشَّأن، وإلفاتًا للمقام، وتنبيهًا على الوصف الَّذي لا يلتبس، وهو أنَّ الرَّبَّ المعبودَ هو الّذي خلق السَّماواتِ والأرضَ، "والصِّلةُ مُؤذِنةٌ بالإيماء إلى وجهِ بناءِ الخبرِ المُتقدِّم، وهو: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لأنَّ خلقَ السَّماواتِ والأرضِ يكفيهم دليلًا على انفراده بالإلهيَّة"[1]، فالوصفُ بما هو متَّفقٌ عليه عقلًا، أقوى بُرهانًا، وأهدى سبيلًا في الإلزامِ والمُحاجَّة.

### دلالة حرف ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾:

الاستواءُ على العرش بعدَ الخَلْقِ، يتناسبُ مع ترتُّبِ الأمرِ على الخَلْقِ

التَّرتيبُ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ على ظاهره، قال ابن عاشور: "فدلَّت ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ على التَّراخي الرُّتَبيِّ؛ تنبيهًا على أنَّ خَلْقَ السَّماواتِ والأرضِ لم يُحدِثْ تغييرًا في تصرفاتِ اللّٰه، بزيادةٍ ولا نقصانٍ، ولذلك ذكرَ الاستواءَ على العرشِ عَقِبَ ذِكْرِ خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ في آياتٍ كثيرةٍ، ولعلَّ المَقْصِدَ من ذلك إبطالُ ما يقولُه اليهودُ: (إنَّ اللّٰهَ استراحَ في اليوم السّابع)، فهو كالمَقْصِد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ

(1) ابن عاشور: التّحرير والتّنوير: 8/161.

خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: 38]"[1].

الـرَّدُّ عـلى مَـن يعتقدُ أنَّ فِعلَ الله في الخَلْقِ والإيـجـادِ دونَ البقاءِ والتَّدبيرِ

جاء قولُه تعالى: ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ كنايةً عنِ الإحاطةِ الكاملةِ للّه تعالى، وهيمنتِه على تدبيرِ أُمورِ الكونِ، سماءً وأرضًا بعد خَلْقِها، فالفائدةُ مِن ذِكْرِ ﴿ثُمَّ﴾ ومدخولها: الإشارةُ إلى أنَّ اللّه تعالى بعد أنْ خلقَ السَّماواتِ والأرضَ، دبَّرَ شؤونَ الخَلْقِ ورعاها، فهو الخالقُ ابتداءً، وهو المدبِّرُ امتدادًا، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾، وهذا ردٌّ على مَن يعتقد أنَّ الكونَ محتاجٌ إلى اللّه تعالى في الخلقِ والإيجادِ دونَ البقاءِ والتَّدبيرِ.

### بلاغةُ جملةِ الحالِ: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾:

بـيـانٌ مستأنفٌ لـلـتَّـدبـيـر المُضَمَّنِ معناه في الاستواء

جملة: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ في مَوضِعِ الحالِ مِن اسمِ الجلالةِ، جاءَ به في صورة الحالِ، لا في صورة الخبرِ؛ ليكون بيانًا مُستأنَفًا للتَّدبيرِ[2] المُضَمَّن معناه في الاستواء على العرش، تنبيهًا على المقصود مِنَ الاستواء[3].

### جزالةُ التَّعبيرِ البلاغيِّ في قولِه: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾:

اجتماعُ الإيجازِ والـمَـجـازِ والاستعارةِ في تعبيرٍ واحدٍ، تصويرٌ فنيٌّ بديعٌ

في قوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ مجموعةٌ مِنَ الفوائدِ البلاغيَّةِ:

أوَّلًا: الإيجازُ: "فمِن بديعِ الإيجازِ ورشاقةِ التَّركيبِ: جَعْلُ اللَّيلِ والنَّهارِ مفعولين لفعلِ فاعلِ الإغشاء، فهُما مفعولان، كلاهما صالحٌ لأن يكونَ فاعلَ الغَشْي، ولهذا استغنى بقوله: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ عن ذِكْرِ عكسه"[4]، وهذا الإيجازُ مبنيٌّ على أنَّ الغِطاءَ والغِشاءَ أنسبُ للظُّلْمة منه إلى ضوءِ النَّهار.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/166.
(2) رضا، تفسير المنار: 8/403.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/166.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/167.

ثانيًا: المجازُ الإسناديُّ: فقد حصلَ هذا التَّجوُّز بإسناد ما هو خاصٌّ بمكان الشَّيء، إلى الشَّيء نفسه، ومكانُ الغَشَيان: هو الجوُّ، على معنى: أنَّه مكانٌ للضَّوء الَّذي هو لازمه، لا أنَّه مكانٌ للنَّهار نفسه؛ لأنَّ الزَّمان لا مكانَ له[1].

ثالثًا: الاستعارةُ: وهي جاريةٌ بجَعْله غشيان مكانِ النَّهار وإظلامه، بمنزلةِ غشيانه للنَّهار نفسه، فكأنَّه لَفَّ عليه لَفَّ الغِشاء، أو شَبَّه تغييبَ كلٍّ منهما للآخر بطَرَيانه عليه، بسترِ اللِّباسِ لِلابسه[2]، فالغَشْيُ للمكان، ونِسبَتُه للزَّمان مجازٌ للمُلابسَة.

### توجيهُ القراءاتِ القرآنيَّةِ في قوله: ﴿يُغْشِى﴾:

قرأ نافعٌ، وابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وعاصمٌ في رواية حفص: ﴿يُغْشِى﴾، بضمِّ الياء وسكونِ الغين وتخفيف الشّين، وقرأ حمزةُ، والكِسائيُّ، وعاصمٌ في رواية أبي بكر، ويعقوبُ، وخَلَفٌ: ﴿يُغَشِّى﴾ بضمِّ الياء وفتح الغين وتشديد الشّين، وهما بمعنًى واحدٍ في التَّعدية، إلّا أنَّ قراءة التَّشديد تدلُّ على التَّكرارِ، وقوَّةِ التَّمكُّنِ، والاستِحواذِ مبالغةً في الغَشَيان الحاصلِ بينهما[3].

التَّضعيفُ يفيدُ التَّمكُّنَ، والتَّكرارَ، والإمعانَ في حدوث الفعل

### أثرُ الاستعارةِ التَّمثيليَّةِ في تصويرِ المعنى:

في قوله تعالى: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ استعارةٌ تمثيليَّةٌ، حيث صوَّرتِ الآيةُ اللَّيلَ يُلاحقُ النَّهارَ بظَلامه فيسترُه، ويطلبُه طلبًا سريعًا فيدركُه؛ كمَن يُلاحِق شخصًا آخَر في عمليَّة ملاحقةٍ سريعةٍ، فإسنادُ فعلِ الطَّلب إلى اللَّيل مجازيٌّ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ اللَّيلَ هو الأصلُ، والنَّهارَ طارئٌ؛ لأنَّه المقصودُ أصالةً مِنَ الإسناد، فكأنَّ النَّهارَ في مجيئه وإشراقه قد أخذ مِنَ اللَّيلِ سلطانَه، فبدأ اللَّيلُ في محاولةٍ دائمةٍ، وطلبٍ حثيثٍ لاسترجاعِ بعضِ ما فقدَه مِن ذلك.

تشبيهُ طلبِ اللَّيلِ النَّهارَ برجلٍ يُلاحِقُ آخَر ليُدركَه

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 4/375.
(2) الشِّهاب الخفاجي، حاشية الشِّهاب: 4/173، والآلوسي، روح المعاني: 4/375.
(3) ابن الجزريِّ، النَّشر في القراءات العشر: 2/202، والآلوسي، روح المعاني: 4/376.

### المعنى الكنائيُّ في التَّعاقُبِ الزَّمانيِّ:

متابعةُ اللَّيلِ للنَّهارِ أو العكس، دائمةٌ متَّصلةٌ غيرُ منقطعة

معنى قوله: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾؛ أي: يطلبُ اللَّيلُ النَّهارَ، أو كلاهما يطلبُ الآخر طلبًا سريعًا حتَّى يلحقَه ويُدركَه، وهو كنايةٌ عن أنَّ أحدَهما يأتي عَقِبَ الآخَر، ويَخلُفُه بلا فاصل، فكأنَّه يطلبُه طلبًا سريعًا لا يَفْتُر عنه حتَّى يلحقَه[1]، فهي كنايةٌ عن سرعةِ الملاحقةِ واتِّصالِها ودوامِها دونَ انقطاع.

### موقع جملة: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ ممَّا قبلها:

الجملةُ تتعاورُها الحاليَّةُ، أو البدليَّةُ، أو الاستئناف

جملة: ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ واقعةٌ استئنافًا، أو بدلَ اشتمالٍ، مِن جملة: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾، والضَّميرُ المنصوبُ في ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يعودُ على اللَّيل وعلى النَّهار، ويمكن أن تكونَ حالًا مِن أحدِ المفعولَين: ﴿ٱلَّيْلَ﴾ ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ على السَّواء؛ فإنَّ كلًّا مِنَ اللَّيل والنَّهار يُعتبَرُ طالبًا ومطلوبًا، تَبَعًا لاعتبار أحدِهما مفعولًا أوَّلَ أو ثانيًا[2].

### دلالةُ الواو في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ﴾:

الشَّمس يَصحُّ عطفُها على: ﴿خَلَقَ﴾ أو ﴿يُغْشِى﴾

الواو في قوله: ﴿وَٱلشَّمْسَ﴾ معطوفةٌ على السَّماوات في قوله: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ أي: (وخلقَ الشَّمسَ)، أو أن تكونَ معطوفةً على: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: (ويُغْشي الشَّمسَ)؛ أي: يَغْشَى كُلٌّ قَبيلٍ منهُما ما الآخَرُ آيَتُهُ، حالَ كَوْنِ الكُلِّ ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾[3].

### توجيهُ المخصوص بالذِّكْر: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾:

تكوينُ الشَّمس والقمرِ أصيلٌ ضروريٌّ، لا تابعٌ جماليٌّ

خُصَّتِ الشَّمسُ والقمرُ بالذِّكرِ مع دُخولِهما في النُّجوم؛ لإظهارِ شرفِهما مِن حيثُ التَّكوينُ والرُّتبةُ والأثَرُ؛ لما فيهما مِن مزيدِ الإشراقِ والنّورِ، وتوقُّفِ معرفةِ الأوقاتِ على حركَتِهما في الآفاقِ، ولأنَّه قد لا يُفهَم دخولُهما في النُّجوم.

(1) سيِّد طنطاويّ، التَّفسير الوسيط: 5/285.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/167.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/417.

### نُكْتةُ تقديمِ الشَّمسِ على القَمَرِ والنُّجوم:

الأصـلُ تقديمُ الأصـلِ على فرعِه، ومراعاةُ المطابقةِ في التَّرتيبِ

قُدِّم ذِكْرُ الشَّمس على القَمر والنُّجوم؛ لأنَّها أشدُّ ضوءًا مِنَ القَمر، بل نور القمرِ هي أصله، فهي أسنى وأسمى.

ورعايةً لبديعِ المُطابقةِ، مع ما تقدَّم، فاللَّيلُ يُطابقُ الشَّمسَ، والنَّهارُ يُطابقُ القمرَ، فروعيتِ المُطابقةُ في التَّرتيب[1]، وثُلِّثَ بسائر النُّجوم؛ لأنَّها كالخَدَم منهما[2].

### نُكْتةُ الاستعارةِ في قوله: ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾:

الامتنانُ على النَّاسِ بما أخضعَه لهم مِن عظيمِ خَلْقِه وبديعِ صُنْعِه

التَّسخيرُ في حقيقته: تذليلٌ بقَهْرٍ وتخويفٍ، أو بتعليمٍ وسياسةٍ بدون عِوَض، ومنه: تسخيرُ العَبيد والأسرى، ويُستَعمل مجازًا في تصريفِ الشَّيء غيرِ ذي الإرادة، في عملٍ عظيمٍ مِن شأنه أن يَصْعُبَ استعمالُه فيه، تصريفًا يُصيِّرُه مِن خصائصه وشُؤونه، فقولُه: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ أطلَقَ التَّسخيرَ فيه مجازًا على جَعْلِها خاضعةً للنِّظام، خُضوعًا مُطَّرِدًا لا يتخلَّف، مع أنَّ شأنَها العظيم يمتنعُ معه أن يَضعَها غيرُ اللهِ على نظامٍ مُحدَّدٍ منضبطٍ[3]، فشُبِّهَتِ الشَّمسُ والقمرُ والنُّجومُ بحيوانٍ سُخِّر ليُقادَ لإفادةِ غيرِه، فهي استعارةٌ مَكنيَّةٌ تخييليَّة، نُكْتَتُها: الامتنانُ على النّاسِ بما سخَّره اللهُ لهم مِن بديعِ خَلْقِه، وعظيمِ صُنْعِه.

### دلالةُ الباءِ في قوله: ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾:

كـلُّ مُسخَّرٍ في الوجودِ فَسَببُه مُوجِدُ الوجودِ

الباء في قولِه تعالى: ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ للسَّببيَّة، وفيه إلْفاتٌ إلى أنَّ كلَّ تسخير وطواعيَة تجود بها الأشياءُ، إنَّما هو بسببِ أمرِ الله، وهو دَفْعٌ لاعتقاد مَن يزعم أنَّ الكونَ يسير صُدْفةً مِن غير مُؤثِّر فيه بالفعل

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 4/377.
(2) النَّيسابوريُّ، غرائب القرآن: 3/253.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/67، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/169.

والتّحريك، "ويَجوزُ أن تكونَ الباءُ للحال؛ أي: مصاحبةً لأمره، غيرَ خارجةٍ عنه في تسخيرها"[1].

### بلاغةُ النَّظم في قوله تعالى: ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾:

بلاغةُ التَّعبيرِ في تنوُّعِ مُرادِ الخبيرِ، دليلٌ على مُكْنةِ النَّظْم في دَفْعِ الوَهْم

لفظُ الأمر في قوله: ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾ مُستعمَلٌ مجازًا في التَّصريفِ، بحسب القُدرةِ الجاريةِ على وفقِ الإرادةِ[2]، "فتسميَةُ ذلك أمرًا على سبيل التَّشبيه والاستعارة"[3]، "إذ جَعَلَ هذه الأشياءَ لكونها تابعةً لتدبيره وتصريفه كما يشاء، كأنَّهُنَّ مأموراتٌ مُنقادَةٌ لأمره"[4]، تنبيهًا على أنَّها في امتثالها وعدم عصيانها كالمُكلَّفينَ العُقلاء، وحقيقةُ الأمرِ في الطَّلبِ الجازم. ويَصحُّ حَمْلُ الأمرِ على تلك الحقيقةِ، ولا مجازَ بِحَمْله على الأمر الكَلاميِّ؛ بمعنى: أنَّه سبحانه أمرَ هذه الأجرامَ بالسَّيرِ الدّائم، والحركةِ المُستَمرَّة على الوجه المخصوص إلى حيث شاءَ، ولا مانعَ مِن أن يُعطيَها اللّهُ تعالى إدراكًا وفهمًا"[5]، ويَصِحُّ أن يكون ﴿بِأَمۡرِهِۦٓۗ﴾كنايةً عن إرادته وقضائه، فلازمُ الأمرِ أنَّه قاضٍ مُريد.

### فائدةُ التَّعبيرِ بأداة الاستفتاح ﴿أَلَا﴾ في هذا السِّياق:

تنبيهُ النَّاسِ وتهيئةُ نفوسِهم للشُّؤون العظيمة الَّتي تُقَرَّر

﴿أَلَا﴾ حرفُ تنبيه، وجاء في قولِه تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ للجَهْرِ في أسماع النّاس بالإيقاظ والتَّنبيه لما سيُلْقَى عليهم مِنَ الأمرِ العظيم الثّابتِ، ففائدةُ تلك الأداة: تهيئةُ النُّفوس للشُّؤونِ العظيمةِ التي تُقَرَّر، إذ إنَّ هذه الآية بهذا التَّركيب الَّتي صيغ نظمُها عليه، تُعَرِّضُ بالنُّفوس البشريَّة الَّتي تعتقد إمكانَ أن يكونَ لغير اللّه – في مُلكه – تأثيرٌ في شَيء مِنَ المقاديرِ والحوادثِ والتَّصاريف، فنفَى

(1) السّمين الحلبيّ، الدُّرُّ المصون: 5/344.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/169.
(3) الآلوسّي، روح المعاني: 4/378.
(4) الشّهاب، حاشية الشّهاب: 4/173.
(5) الآلوسّي، روح المعاني: 4/377.

اللّهُ بتلك الآية كلَّ ظَنٍّ قد يعتري النُّفوسَ، بأنْ سيْقَ تركيبُها غايةً في الوَجازَة، وكمالًا في الإثباتِ والتَّأكيدِ والحَصْرِ، فوَقعَت جامعةً مانعةً مُحكَمةً، يَنْقشِعُ بها كلُّ ظَنٍّ واحتمال.

**نُكْتةُ تقديمِ المُسنَد على المُسنَد إليه في: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾:**

اختصاصُ الله تعالى بمُلكِ الخَلْقِ، وتدبيرِه

اللّامُ الجارَّةُ لضمير الجلالة في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ﴾ لامُ المُلك، وتقديمُ المسنَد هنا؛ لتخصيصه بالمسنَد إليه[1]؛ أي: له وحدَه لا لغيره، الخَلْق والأمْر.

**نُكْتةُ تقديمِ ﴿ٱلْخَلْقُ﴾ على ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾:**

قَدَّم المُسَبَّب وهو: ﴿ٱلْخَلْقُ﴾، على السّبب وهو: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾؛ ترقيةً مِنَ المحسوس إلى المعقول[2].

**مَوقِعُ قولِه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ مِنَ الكلامِ السَّابق:**

وقعتِ الجملةُ استئنافًا تذييليًّا لما سبق

المرادُ بالخلقِ في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ ما يتعلَّقُ بإيجادِ ذواتِ الأشياءِ، وبالأمرِ: ما يتعلَّقُ بتحديد أوضاعِها، وتكييفِ النِّظامِ الجاري عليها، وقد باينَ بينهما في صدرِ الآيةِ، فقال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، وهذا هو إيجادُ الذَّواتِ، ثمَّ قال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾، وهذا هو إيجادُ نظامِها الأمثل، وتدبيرها الأحكم، وجملة: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ استئنافٌ مَسوقٌ للتَّذييل على الكلام السّابق في قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، وقولِه: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾، ومردودٌ إليه[3].

**نوعُ التَّعريفِ في قوله: ﴿ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾:**

أفادَت (ال) استغراقَ الجنسِ كلِّه في عالمِ الغيبِ والشَّهادةِ

(ال) في لفظي: ﴿ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ لاستغراقِ الجنسِ، وهو يفيدُ العمومَ؛ أي: كلُّ الخَلْق، وكلُّ الأمر له، ليس لغيره، وهو يفيدُ القصرَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/169.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 7/417.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/169.

الحقيقيَّ في كليهما، بقرينةِ تقديمِ الجارِّ والمجرور، وبمعونةِ الاستهلال بـ ﴿أَلَا﴾ الافتتاحيَّة، وهو ما يُشاهده الخلقُ، ويحكمُ به الحقُّ.

وأفادَت استغراقَ الخَلْقِ والأمرِ للعالَمَين: عالَمِ الغيبِ والشَّهادة، فالمادَّةُ المشهودةُ: اللَّيل والنَّهار، والشَّمس والقمر، والغيبُ: هو الاستواءُ على العَرْشِ، وإنشاءُ خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: 51].

### ربطُ جملةِ التَّذييل: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾:

جملة: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، اعتراضٌ بينَ جملة: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾، وجملةِ: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، في موقع التَّذييل لآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ﴾، وفي موقعِ التَّمهيدِ والتَّهيئةِ للأمر بعدَه، في قوله: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾[1]، وهي تطمينٌ وبُشْرى بعد تقريرِ إفرادِ اللهِ بالخَلْق والأمر، المُشْعِر بالتَّرهيبِ منه؛ لكمالِ سُلطانِه وهيمنتِه بهما، فأتبَعَهُ بما يُفيدُ التَّرغيبَ في خيره المتواترِ، وخزائنِه ذاتِ البركةِ الدّائمة، وإذا كان ذلك كذلك، فتَهَيَّؤوا لقوله بعدَه: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾، فكان هذا التَّذييل على هذا التَّركيب كاللُّحْمَة الآخِذَة بزمام ما قبلَها وما بعدَها؛ لِتُسْلِمَ السّامع مِن ترهيبٍ لترغيبٍ، ومِن عبوديَّة الخالقِ بالمعرفةِ والاعتقادِ، إلى عبوديَّته بالعمل وحُسْنِ الوسيلة إليه.

**تذييلُ الكلامِ بالثَّناءِ على الله، هو مُقتضَى التَّعليم والتَّربية الحَقَّة**

### خصوصيَّة لفظ: ﴿تَبَارَكَ﴾ في الاستعمال:

صيغة: ﴿تَبَارَكَ﴾ لم يجئْ منها مضارعٌ ولا أمرٌ ولا اسمُ فاعل، فلا يُقال: مُبارَكٌ ولا مُتَبارِكٌ، وهي لازمةٌ للماضي، والنُّكتةُ في ذلك: أنَّه لم يوصَفْ به غيرُ الله، واللهُ تعالى تباركَ في الأزل، وهو تعليلٌ يناسبُ مَعنَيَيْها، فـ ﴿تَبَارَكَ﴾[2] من مادَّة البركة، وأصلها: (بَرَك)

**(تَبَارَكَ) خاصَّةٌ بالله تعالى؛ لما لها من معانٍ لا تليقُ إلَّا به**

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/170.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (برك).

البعير؛ أي: صدُره؛ لأنَّ الإبل إذا ثبتَت واستقرَّت في مكان، ألصقَت صدرَها بالأرض، ثمَّ استُعيرَت هذه الكلمة، فاستُعمِلَت في كلِّ ثبوتٍ واستقرارٍ محمودٍ، حتَّى غلبَت على النِّعم الثّابتةِ الدّائمةِ، والأعمارِ الطَّويلةِ، فوُصفَت بها، فالشَّيءُ المُبارَكُ: هو الموصوفُ بالدَّوام والثُّبوت، وأليق وأحقُّ وجودٍ لهذه الصِّفة هو وجودُ اللّه تعالى، فهو وجودٌ مُبارَكٌ، أزليٌّ أبديٌّ في ذاته وأفعاله، وهو مَنشأٌ ومصدرُ جميع البركات والخيرات، والمعنى الثّاني: مِنَ البَرَكَة، بمعنى: الكَثْرة مِن كلِّ خيرٍ، وكِلا المعنيين ثابتٌ للّه تعالى، فتبارَكَ اللّهُ في ذاته ثُبوتًا وأزلًا، وفي عطاءاته كثرةً ووفْرةً[1]، فلا جَرَمَ حينَئذٍ أن كانت تلك الصّيغة: ﴿تَبَارَكَ﴾ مشتملةً على اللُّزوم والثُّبوت، مَبنىً ومعنىً. وفي إيراد هذا الختْم بتلك الصّيغةِ بعد ذِكْرِ الخَلْقِ والتَّدبيرِ والأمرِ، نوعٌ مِن أنواعِ الثَّناءِ على اللّه، فكأنَّ تلك المذكورات سببٌ يستلزمُ الثَّناءَ على اللّه، فسيقَت هذه الجملة مساقَ الثَّناء عليه؛ تعليمًا للخَلْق، وتحريضًا لهم على ترديدها، وذِكْرِ اللّهِ بها: ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

### بلاغةُ التَّصديرِ في الآية الكريمة:

في قوله: ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تفريعٌ وبيانٌ جرى مَجرَى التَّعليل لما قبلَه؛ أي: تباركَ اللّهُ، وكَثُر فيضُه، ودامَت وعمَّت بَرَكتُه؛ لأنَّه اللّهُ ربُّ كلِّ المخلوقات والكائنات، "فهو ختامٌ لوحِظَ فيه مَطلَعُه"[2]، فهو تصديرٌ بديعٌ، وردٌّ أخّاذ.

البَدْءُ بالرُّبوبيَّةِ والختمُ بها دليلٌ على أنَّ الخيرَ بيدِه ابتداءً وانتهاءً

## ❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

### (حثيثًا)، (سريعًا):

السُّرعة: مُطلَقُ الاندفاعِ في المَسار، وهي ضِدُّ البُطْءِ، والحثيث: هو السَّريعُ بفِعل الحَثِّ والحَضِّ؛ ولذا فسُرعتُهُ تكون متواليةً بفعلِ

(سريعًا) أعمُّ مِن (حثيثًا)؛ لأنَّ الحثيثَ سرعةٌ مطلوبةٌ مِن مُعاقِب

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 4/378.
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 4/378.

تحريكٍ آخَرَ يَدفعُها ويُديمها، فسريعٌ أعمُّ مِن حثيث؛ لأنَّ الحثيثَ سُرعةٌ مطلوبةٌ مِن مُعاقِب، فهي سُرعةٌ مُطاوِعةٌ لِمُسْرِعٍ وراءَها، ولذا قال: ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾؛ أي: يَعقُبُه، فلَزِم أن يُقالَ: ﴿حَثِيثًا﴾ لا سريعًا؛ لإرادةِ التَّنبيه على أنَّها سرعةٌ مِن طرفين، أو جهتين، كلٌّ منهما يُحرِّك الآخَر[1].

**(سَخَّر)، (ذَلَّل):**

التَّذليلُ: أعمُّ مِنَ التَّسخير، والتَّسخيرُ نوعٌ خاصٌّ منه، والفرق بينهما: أنَّ التَّسخير تذليلُ الشَّيء بقوَّةِ القابليةِ والاستعدادِ، وفِطرةِ التَّكوين؛ كَتَسخير الشَّمس والقمر، فهما لا يخرجان عنِ النِّظام بفعل قوَّةِ الطَّواعيَةِ والقابليَّةِ الكائنةِ فيهما، وأمّا التَّذليل فقد يقع بقوَّة الخارج والسُّلطة، من غير استعدادٍ أو قابليَّة أو طواعيَةٍ ذاتيَّة، فيكون عن قَهْر، كقوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ [آل عمران: 112]، ويكون معناه الإيقاع في الذُّلِّ، وقد يكون ذاتيًّا ناشئًا باختيار الفاعل، من غير قَهْر، كقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: 24]، وقولِه تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: 54]، وقد يكون في التَّكوين كالتَّسخير، كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [تبارك: 15]، ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النّحل: 69]، ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ [يس: 72]، فالتَّذليلُ مَواردُه كثيرةٌ، وتتعلَّقُ به معانٍ تخرجُ به عنِ الانقياد التَّكوينيِّ الثّابت مِن غير مُقاومةٍ، بيُسرٍ وسلاسةٍ، ولذلك عَبَّر هاهنا بقوله: ﴿مُسَخَّرَٰتٍ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ تذليلَ الشَّمسِ والقمرِ والنُّجومِ والأفلاكِ العُلويَّةِ، هو تذليلٌ مُتفرِّدٌ لا نظيرَ له.

**التَّذليل: فيما له نظيرٌ غيرُ مُذَلَّلٍ مِنْ جنسه، وفيما يَتعدَّى فِعلُ المخلوقِ إليه بالمُكْنَةِ والغَلَبَةِ، وأمَّا التَّسخيرُ: فليس مُستعمَلًا في هَذَيْن**

والضّابطُ الحاصلُ في الفرق بينَ التَّذليل والتَّسخير:

أنَّ التَّذليلَ يُستعمل فيما يمكن أن يكونَ له نظيرٌ غيرُ مُسخَّر؛

(1) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهري، الصِّحاح، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حثَّ)، وجبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (حثث - حثحث).

كتذليل الأنعام في قوله: ﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ﴾ [يس: 72]، فهذه الأنعامُ لها نظائرُ مِن جنسها غيرُ مُذلّلةٍ، فلا تُؤكَل ولا تُركَب.

والتَّذليلُ يُستعمَل فيما يتعدَّى فِعلُ المخلوقِ إليه، كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾، ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النّحل: 69]، ففِعلُ المخلوق في هاتين مُتعدٍّ إليهما بالتَّأثير والتَّغيير.

وأمّا التَّسخير فليس مُستعملًا في هَذَين، فالأفلاكُ المُسخَّرةُ ليس لها نظيرٌ مِن جنسها غيرُ مُسخَّر، وليس للمخلوق مُكْنَةٌ عليها بتأثيرٍ أو تغييرٍ لإرادتها المطبوعة فيها، بل يكون التَّسخيرُ في الذَّوات المُحترمَة ذاتِ الرُّتْبَةِ في العلوِّ والاعتبار، حِسًّا أو معنًى؛ كالأفلاك والفُلْك والبحار واللَّيل والنَّهار، ولهذا المعنى استُعمِل (التَّسخير) في بني آدم في قوله: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزّخرف: 32]، فاستُعمل التّسخير؛ لأنَّها أنْفُسٌ محترَمةٌ، ولأنَّها نفوسٌ تعلَّقَ بها إكرامُ اللّهِ لها: ﴿*وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: 70]، فلِعُلوِّ رتبتِهم لم يَستعمِل معهم صيغةَ: (التَّذليل)[1].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: 10/158، والرّاغب، المفردات: (ذلل - سخر)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذلل - ذلذل - سخر).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث
---
الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»